عالم غريب عسقلاني الروائي

الرؤية والأداة

إعداد وتقديم

د. سهام أبو العمرين

تقديم

الرواية ملحمة برجوازية ولدت من قلب الصراعات الأيديولوجية للبرجوازية الصاعدة على أنقاض الإقطاعية المنهارة، هي أداة تشكيل وعي ووسيلة من وسائل تثوير المجتمع وتغييره، جنس أدبي انبثق من الواقع ويسعى للتأثير في هذا الواقع بالتحريض عليه بكشف بنية المسكوت عنه ومحاولة تفكيكه من أجل إعادة بنائه من جديد بوعي الروائي الثائر المحرض الذي يسائل التاريخ ويتشاكل معه، الذي يثير أسئلة الوجود والهوية، لا بوعي الروائي الناسخ الذي يكتفي بالرصد والتوثيق؛ فالروائي الحقيقي لا يؤرخ الوجود إنما يعيد تشكيل هذا الوجود بوعي نافذ وقدرة استشرافية حكيمة، لتترافق القيمة الجمالية للأدب مع القيمة النفعية ولتتحقق الوظيفة الأساسية للإبداع الذي يضع الواقع نصب عينه لتغييره ومجاوزة عثراته.

يمتلك غريب عسقلاني، الروائي الفلسطيني المسكون بأرق الكتابة وأسئلتها، مشروعًا أدبيًا ذا خصوصية ووعيًا روائيًا معمقًا بقدرته المدهشة على مقاربة الواقع الفلسطيني المشظى ورسم أبعاد الإنسان المفجوع منذ نكبته بتغريبته، مازجًا الواقع بالأسطورة، والحقيقة بالحلم، رابطًا الزمان بالمكان، مستلاً شخصياته من رحم المعاناة، مجسدًا انهزامهم وانتصارهم، تناقضاته واقعه وتبدلاته، بلغة تحاكي الواقع برمزية شفيفة تارة وشاعرية تارة أخرى، موظفًا تقنيات السرد وطاقات اللغة الإبداعية لإبراز الدلالة التي يقتنصها القارئ المتمهل الذي يضع قدمه في أرض رواياته فيجد الجمال الذي تضافر بالمعاناة والألم.

من المفارقات القدرية أن العام الذي ولد فيه غريب عسقلاني هو العام الذي حدثت فيه النكبة حيث بداية تشتت الذات الفلسطينية وتشرذمها، ليكون حضوره لهذا العالم حضورًا شاهدًا على المأساة ومثقلا بالدلالة على الفجيعة، ولذلك لا غرو أن تكون تيمة "المخيم" هذا المكان الطارئ والهاجس المؤرق الشاهد على تشرذم الهوية وتأزم الذات في ارتحالاتها عبر الزمكان، هي التيمة البارزة في رواياته .

غريب عسقلاني روائي غير عادي، تجاوز في ممارسته الروائية مفهوم الرواية باعتبارها حكاية لمفهوم الرواية متعددة المستويات ذات المعمار الحداثي حيث كسْر كرنولوجية الزمن التعاقبي، واعتماد السرد على تعددية الأصوات والمنظورات، في ظل التعالق النصوصي مع

عوالم الأسطورة والرمز وأساليب القص الشعبي في ظل التوظيف المتميز للغة المكثفة المختزلة التي تجبر المتلقي على الإسهام في إنتاج الدلالة ليصبح منتجًا إيجابيًا مشاركًا في صناعة المعنى.

أثرى غريب عسقلاني المكتبة الأدبية باثنتي عشرة رواية أولها رواية "الطوق" التي صدرت عام ١٩٧٩ ثم تلتها رواية "زمن الانتباه" ١٩٨٢، ثم "نجمة النواتي" ١٩٩٩، و"جفاف الحلق" ١٩٩٩، و"زمن دحموس الأغبر" ٢٠٠١، و"ليالي الأشهر القمرية" ٢٠٠١، و"عودة منصور اللداوي" ٢٠٠٢، و"أزمنة بيضاء " ٢٠٠٥، و"ضفاف البوح" ٢٠٠٦، و"أولاد مزيونة" ٢٠٠٩، و"هل رأيت ظل موتي" ٢٠١١، و"المنسي" ٢٠١٦. وقد تفاعلت هذه النصوص مع بعضها البعض لتكوِّن عالمًا ذا خصوصية وتجربة روائية فريدة، وظف فيها الروائي عبر تاريخ كتابته تقنيات سردية عدة ومستويات لغوية ترافقت مع الدلالة النصية، زاوج بين الرمز والشاعرية، ومتح من عوالم الخرافة والأسطورة ما رسم به عوالمه الروائية التي تنبض جمالا ودلالة، لتكون بمثابة إضافة متميزة للرواية الفلسطينية وحلقة من حلقاتها التي لا يمكن تجاوزها.

وتسهيلا للباحثين، جاء هذا الكتاب الذي عنونته بـ "**عالم غريب عسقلاني الروائي: الرؤية والأداة**" ليلقي الضوء على الدراسات البحثية الجادة التي تناولت نصوص غريب عسقلاني الروائية، بمنظورات مختلفة ومعالجات متمايزة، فكان لكل باحث مبضعه الخاص الذي شرح به نصوص الكاتب الروائية خاضعًا إياها للدراسة والتحليل النقدي بمناهج مختلفة. ولذلك آثرتُ أن أقوم بتجميعها وتقديمها للباحثين الجادين لتكون بذرة لدراسات متتالية لنصوص قابلة للقراءة عبر الزمان برؤيات متعددة. وقد قدمتها بشهادة الروائي "غريب عسقلاني" ورؤيته لمفهوم الكتابة ومتحدثًا عن تجربته الروائية. وقد راعيت تقديم الدراسات وفق زمن صدور الرواية المتناولة لا زمن الدراسة النقدية.

وهذه الدراسات جاءت على النحو التالي:

- حول رواية الطوق لـ د. خليل حسونة
- العلاقة مع الآخر في رواية زمن الانتباه لـ د. علي عودة
- ثنائية الأصوات في رواية " نجْمة النّواتي لـ د. على عودة

- رواية البحر " نجمة النواتي" لغريب عسقلاني دراسة نقدية لكل من: د. حماد حسن أبو شاويش، د. سعد محمد العزايزة.
- "نجمة النواتي" لغريب عسقلاني.. الحياة سردًا لمحمد ضمرة.
- رواية نجمة النواتي: الحلم ما زال ناصعًا لزكي العيلة.
- سيميائية العنوان في رواية "زمن دحموس الأغبر" للروائي غريب عسقلاني لـ د. سهام أبو العمرين.
- تقانات السرد الحديثة في رواية " جفاف الحلق " لـ غريب عسقلاني للباحثة أمل المصري.
- غريب عسقلاني وجفاف الحلق بقلم أحمد فضل شبلول.
- ليالي الأشهر القمرية وأسئلة العودة بقلم رائد حواري.
- ليالي الأشهر القمرية بقلم علي الخليلي.
- خطاب المقاومة في الأدب الفلسطيني: رواية "عودة منصور اللداوي" لغريب عسقلاني أنموذجًا لـ د. سهام أبو العمرين.
- اللغة الشعرية وتجلياتها في رواية "أزمنة بيضاء" لغريب عسقلاني لـ د. عبد الرحيم حمدان.
- البحث عن (غريب) في رواية: البحث عن أزمنة بيضاء للروائي غريب عسقلاني

  بقلم توفيق أبو شومر.

- "تجليات التناص الذاتي في رواية(ضفاف البوح) لغريب عسقلاني" لـ د. عبد الرحيم حمدان.

- "توظيف الموروث الشعبي في رواية "أولاد مزيونة" للروائي غريب عسقلاني" لـ د. عبد الرحيم حمدان.

- صورة المرأة في رواية "أولاد مزيونة" للروائي غريب عسقلاني: قراءة نسوية لـ د. سهام أبو العمرين.

- أولاد مزيونة والعزف على وتر الحكاية: إطلالة على فضاء النص بقلم: محمد نصار.

- جرأة التجريب والخروج من عباءة الرواية التقليدية: " هل رأيت موت ظلي "، أنموذجًا لـ د. نجمة خليل حبيب.

- المنسي و الهبوط من كوة الحلم: دراسة تحليلية لرواية المنسي للأديب غريب عسقلاني لـ د. عاطف أبو حمادة.

- نقوش على رقعة (المنسي).

- ما قاله الغريب عن المنسي: قراءة انطباعية في رواية المنسي للكاتب الفلسطيني غريب عسقلاني، بقلم: سامح عوده.

هذه أرضية بحثية جادة ينطلق منها الباحثون في عالم غريب عسقلاني الروائي ومنطلق لدراسات متتالية لنصوص الكاتب الروائية لأنها وحتى اللحظة صالحة لقراءات عدة وبمنظورات مختلفة لاستلال الدلالة التي تترافق مع التغيرات الاجتماعية والسياسية، تحتاج روايات غريب عسقلاني القراءة المتأنية التي لا تكتفي بملامسة ظاهر النص إنما تغوص في أعماقه لاغتراف دلالة بكر مع كل قراءة.

بذرة بحثية تنضاف للمكتبة العربية تسبر أغوار نصوص صالحة لإعادة القراءة مرات عديدة لملامستها جوهر الواقع مجسدة كل ما فيه من مآس وطموحات.

د. سهام أبو العمرين

غزة ٢٠١٨

شهادة

بقلم: غريب عسقلاني

أرى أن العمل الروائي تجربةً بشرية، تقوم على الأرق الدائم، بالاشتباك مع الظواهر والأحداث، يتجلى في معمار فني، يروّض الأحداث والأزمان والأمكنة؛ لكشف القضايا والأسئلة المطروحة في العمل، معتمدًا على ما وصل إليه المنجز الإبداعي والفكري الإنساني في عصر الكتابة، الذي هو تتويجٌ لما سبقه من عصور. وبذلك يكون لثقافة الكاتب وتكوينه الفكري والنفسي وحتى البيولوجي، الأثر في الإجابة على أسئلة الأرق التي تتصارع في عقله ووجدانه، والتي تحدد إلى حدٍ بعيد معمار العمل الروائي، وتضبط سياقه، وكأنّ الرواية تكتب نفسها، استجابةً لقوانين خلق كائنٍ فني بشري جديد، يتوازن مظهره مع جوهره، يحركها ما يدور في عقل الكاتب من أسئلة حول قضايا يعيشها وتشغله.. والرواية الذكية – من وجهة نظري– هي ما تترك الأسئلة مفتوحةً للتأويل، وتفتح نوافذ لأرقٍ جميلٍ ومحرض للمتلقي.

أما على المستوى الشخصي، فقد جئتُ إلى الدنيا لأسرة مجدلية تعمل في صناعة النسيج اليدوي وتجارة المنسوجات القطنية. حملتني أمي رضيعًا في الهجيع الأول إثر نكبة ١٩٤٨، فوعيتُ على الحياة في بيت تشارك فيه المرأة الرجل في حرفة النسيج اليدوي، وانفطرتُ على تقسيم العمل في مناخ تشكل المرأة فيه شريكًا فاعلًا في الإنتاج، بالإضافة إلى الإنجاب وأعمال المنزل. وعايشتُ أمي وأخواتي اللواتي يكبرنني خلف الدواليب ساعات النهار في لف خيوط اللُّحمة التي تلتحم بخيوط السداة، لتتكامل رقعة المنسوج على نول أبي اليدوي. ولعل ذلك ما فسر لي فيما بعد، عمق المودة والرحمة والحب المقترنان بالاحترام والمشورة بين الرجل والمرأة في الأسرة المجدلية، باعتبار المرأة شريكًا في العملية الإنتاجية، وربما ذلك قرَّب إلى مزاجي مفهومًا خاصًا لعلاقات الإنتاج التعاونية، ومدى انعكاسه على وعي المرأة بأهمية دورها في الحياة، وأعتقد أن هذه الخمائر الأولى، تقاطرت وانتظمت بعفويةٍ في رواية "جفاف الحلق"، وهي رواية سيرة رحيل أهالي مدينة المجدل/عسقلان إثر النكبة الأولى، مستمدة من سيرتي وأهلي والتي كتبتها في العام ١٩٩٨بمناسبة مرور خمسين عامًا على النكبة، واسترجعت من خلالها بعيون طفل تفتح وعيه، وقد حطت به النكبة في مدينة غزة، على مرمى رشقة نظر من مسقط رأسه، وتربع أمامي سؤال القهر الذي لازمني:

كيف أصبح الطفل لاجئًا في وطنه، زاده حكايات الآباء والأجداد؟

وفي الرواية تشابك القريب بالبعيد، لتوليف حلم العودة، وفرح الناس واحتفائهم بوصول قطار الرحمة القادم من مصر، مع قائد الثورة المصرية اللواء محمد نجيب، واستقباله بترديد شعار ثورة مصر "الاتحاد والنظام والعمل"، وما تلاه من صعود نجم جمال عبد الناصر، البطل المخلِّص الذي بعثته السماء للأمة العربية عامةً، وللشعب الفلسطيني خاصةً، مطلقًا صيحته الشهيرة: " ما أُخذ بالقوة لا يُستَرَد إلا بالقوة "، وتشكيل فرقة الفدائيين بقيادة الضابط المصري مصطفى حافظ، وإرغام اليهود على الانسحاب بعد فشل العدوان الثلاثي على مصر وغزة ١٩٥٦، ثم انتشار قوات الطوارئ الدولية في القطاع، وخروج المظاهرات تهتف: "لا شرقية ولا غربية بدنا إدارة عربية" التي تمخض عنها عودة الإدارة المصرية لإدارة شؤون القطاع خيارًا شعبيًا في العام ١٩٥٧.

بعد عودة الإدارة المصرية، تحولت الأسرة من حرفة النسيج اليدوي إلى استيراد الأقمشة وأقطان التنجيد من مصر، وانتقلت للإقامة في ضاحية من ضواحي مخيم الشاطئ أغلب قاطنيها من لاجئي المجدل عرفت بمخيم الوحدة؛ تيمنًا بالوحدة بين مصر وسوريا.

ماذا يعني المخيم؟ وكيف تكون الحياة في هذا المكان الطارئ، الذي يضم خليطًا من الناس اقتُلِعوا من أماكنهم واندمجوا في نسيج بشري له همومه وأحلامه المشتركة؟ فغافل التوقعات وأصبح واقعًا له أجنداته وتواريخه ومحطاته التي ساهمت في الحفاظ على الذات والهوية! وحافظت الأسئلة على توهجها، وقد رحل منه عن الدنيا أجيالًا خبرت البلاد والعباد، وبذرت الأبناء والأحفاد، الذين احتفظوا بمفاتيح البيوت، وحرزوا الكواشين والمواثيق والحجج، وأحجبة العرافين، وأخبار مجاذيب الأضرحة، وعشاق أولياء الله الصالحين. وتبلورت فيه عادات وتقاويم جديدة، وذكريات حفرت عميقًا، مثل عام "الثلجة" الذي شكل تقويمًا للأعمار والمصائر. وابتكرت الأجيال لهجات هجينة، بمفردات فرضها واقع الحال مثل: "الهنجر، والطعمة، والتجميعة" وتميزت فيه فئة من موظفي وكالة الغوث ميسوري الحال، وعلى إلمام تعليمي وثقافي يتجاوز المألوف، فشكَّلوا برجوازية نسبية، وكانوا قادة رأي، يجتمعون قي مقهى "أبو سمير صُمَّد" على شاطئ البحر، يتناقشون بالنحوي كما يقول صاحب المقهى بإعجاب: " والله ما بأفهم عليهم لما يحكوا بالنحوي كلام عربي ومش عربي، كأن جن راكب لسانهم، وهم بيباطحوا أبو خليل في الكلام،

ويطلعوا خسرانين قدامه، تقول كاين وهو في سجن أبو زعبل بيحضر حالو لمباطحتهم، ودايمًا يكسب الجولة، ويقولي على حسابي الشاي يا أبو سمير، هدول برجوازية رثة.. شو رثة؟ والله نفسي أفهم عليه! حاضر يا أبو خليل. وأسجل الطلبات في الدفتر، وأقول في سري "رزق الهبل على المجانين"

أسئلة تفتح بوابات الذاكرة، وتفرض المواجهة.

فكيف تفاعل كُتّاب الرواية والقصة مع هذه الأسئلة، وأخرجوها صورًا وحكايات في كيانات أدبية أصبحت شهادات لا يمكن دحضها، فلعبت دورها وسيلة لاجتياز الذاكرة الجمعية في مارثون الصراع؟

ذاكرة التجوال القسري:

وفي الذاكرة، قبل خمسين سنة ويزيد، التحقتُ بالجامعة في العام ١٩٦٥، وأدركتني النكسة طالبًا في كلية الزراعة ١٩٦٧. وعاصرتُ حرب الاستنزاف في مصر، ورأيتُ المهجرين من مدن القنال وقد تبعثروا وأصبحوا لاجئين في وطنهم، وتخرجت من الجامعة في العام ١٩٦٩، ثم انطلقتُ إلى الأردن، واطلعتُ على الحياة في مخيمات: عمان، وجرش، والزرقاء، وإربد، وعاصرت أحداث أيلول الدامية في الوحدات، ثم غادرت عمان إلى سوريا، حيث عملت في سوريا مهندسًا زراعيًا في مشروع سد الفرات، وشاهدتُ أحوال أهل الجولان الذين نزحوا إلى الداخل السوري، وتحولوا إلى لاجئين، وتجولت بين الفلسطينيين في مخيمات اليرموك، وحمص، وحلب، واللاذقية. وتعددت زياراتي إلى لبنان، وعايشت الحياة في تل الزعتر، وصبرا وشاتيلا، والبداوي، ونهر البارد، وعين الحلوة، والمية مية، والرشيدية، يرافقني مخيم الشاطئ مثل ظلي، ويؤكد يقيني أن المخيم ساكنٌ فينا أينما ذهبنا، يحصننا ضد التبعثر والتلاشي، وأنه نقطة ارتكاز وانطلاق إلى الوطن بفعل تفجر هذه الكتل البشرية المتناثرة التي تعيش حلم العودة، بانتظار زوال هذا المخيم الطارئ الذي يراوح بين الحزن والفرح.

أسئلة الكتابة:

السؤال الحارق والملِّح: ماذا نكتب والوقت احتلال؟

وجاء الجواب تلقائيًا، وقد غادر المعلمون أمثال: هارون رشيد، ومعين بسيسو، ويحيى برزق. وكذلك فتيان الجيل الثاني: حسيب القاضي، وعبد الكريم السبعاوي، وأحمد عمر شاهين وغيرهم. وكنا في القطاع مجموعة صغيرة نناوش القصة القصيرة: زكي العيلة، وغريب عسقلاني، وعبد الله تايه، وصبحي حمدان، وعلي لُبَّد، وحمدي الكحلوت، وسرعان ما التحق بنا عمر حمَّش، وعثمان أبو جحجوح. ومن الشعراء، بقي من الشيوخ: عبد الحميد طقش، وسعيد فلفل، ومحمد آل رضوان، ومن حولهم الشباب: وليد الهليس، وحسن خضر، ووليد الخزندار، وخالد أبو العمرين، وتوفيق الحاج، ثم التحق بهم: باسم النبريص، وصقر أبو عيدة، وحظينا كهواة برعاية نخب يؤرقها الهم الثقافي، أمثال: عبد الحميد طقش، ومحمد حسن النجار، وسعيد فلفل، ومحمد آل رضوان، وصالح زقوت، وعبد اللطيف عبيد، نلتقي تحت مظلة اللجنة الثقافية في جمعية الهلال الأحمر، التي نشطت في تفعيل المشهد الفكري والثقافي والتواصل مع كتاب الضفة الغربية أمثال: محمد البطراوي، وإبراهيم الدقَّاق، وصبحي شحروري، وعادل سمارة، وعبد اللطيف عقل، وجمال بنورة، وإبراهيم العلم، وسحر خليفة، وسميرة الخطيب، وليلى علوش، وفاطمة حمد، ومحمد كمال جبر، وعادل الأسطى، ومفيد دويكات، وسامي كيلاني، ومحمد مناصرة، وفوزي البكري، وجمال سلسع. وكانت القدس مركز انطلاقنا وتجمعنا وتفاعلنا، مع النشاطات الأدبية الفنية في القدس، ورام والله، وحيفا، وعكا، والناصرة، وشملتنا رعاية: سميح القاسم، وإميل حبيبي، وتوفيق زَيَّاد، والمفكر إميل توما، وتعرفنا على محمد علي طه " القاص" ، وطه محمد علي " الشاعر"، وإبراهيم حنا، وأحمد سعد، ونايف سليم، وفوزي عبد الله، وسهام داوود، وسعود الأسدي وغيرهم. وأصبحنا جزءًا من المشهد الثقافي والفني، نعكس هموم الحياة في غزة تحت الاحتلال، ولاقت كتاباتنا حظوة على صفحات صحف القدس ومجلاتها، مثل: الفجر، والقدس، والشعب، والشراع، والبيادر الأدبي، وصحيفة الاتحاد، ومجلة الغد، ومجلة الجديد في حيفا.

في تلك الفترة جاءت تجاربنا عارية من الرتوش، فالأحداث في غزة طازجة، والحكاية تتحدث عن نفسها، فالوطن في قبضة احتلالٍ جائر، والعمل الفدائي ظاهرة يومية، والشهيد والأسير حكاية متداولة، والعمل في إسرائيل وسيلة رزق لأغلب سكان القطاع، فعزفنا على أوتار الفدائي والسجين، والعمل عند اليهود، وجمع شمل العائلات، فكانت متفجراتنا الأولى قصائد محرضة، وقصصنا قصيرة لاهثة، ولأن الجغرافيا ضيقة ومحدودة، ولأن معظمنا من سكان

المخيمات والأحياء الفقيرة، اغترفنا من مناخ ومعين واحد، فتشابهت قصصنا في المضامين، وتمايزت في الشكل والقدرات الفنية، وكانت المحصلة لصالح القصة القصيرة في القطاع، وانتشرت مقولة: "غزة تصدر البرتقال والقصة القصيرة ".

القصة القصيرة عتبتنا الأولى، حتى إذا ما اشتد ساعدنا ونضجت أدواتنا، تجرأنا على الرواية، ففتحت أمامنا مساحات الرصد والتوثيق والتأويل وطرح الأسئلة، وباتت الحياة من حولنا بتجلياتها وعلاقاتها مادة خصبة تداعب طموحاتنا.

في العام١٩٧٩، نشرتُ مجموعتي القصصية الأولى "الخروج عن الصمت " ونشرت روايتي الأولى " الطوق" التي استمدت مادتها من الطوق الذي فرضته قوات الاحتلال على جزء من مخيم الشاطئ في العام ١٩٧٠؛ لمطاردة مجموعة فدائيين حوصروا في المخيم، وكان أسلوب فرض سياجٍ من الأسلاك الشائكة حول جزءِ من مخيم الشاطئ وعزله عن الحياة حدثًا هامًا، وتحولًا لافتًا في الممارسات الإسرائيلية لمطاردة الفدائيين. وقد لاقت هذه الرواية القصيرة اهتمامًا في الداخل والخارج، ربما لندرة الأعمال الروائية من ناحية، أو لأنها وثَّقت لحدثٍ يمثل الصمود في وجه الاحتلال، ثم نشرت في العام ١٩٨٢ طبعةً محدودة من روايتي الثانية "زمن الانتباه" تعرضت فيها لمشاركة اليسار " الحزب الشيوعي" في الثورة المسلحة، ثم عدتُ للقصة القصيرة، حتى انفجرت الانتفاضة الأولى١٩٨٧، فأصدرت عن اتحاد الكتاب عام ١٩٩٠ مجموعة "حكايات عن براعم الورد"، عن دور الأطفال في الانتفاضة، ومجموعة "الصبي والشمس الصغيرة" في العام ١٩٩١، تضم قصص ما قبل الانتفاضة الأولى، وقصص عن الانتفاضة.

أوسلو والكتابة:

مع بداية العام ١٩٩٥ انتقلت من سلك التعليم إلى وزارة الثقافة في السلطة الفلسطينية، وعشت حلم تأسيس المؤسسة الثقافية الفلسطينية الرسمية، ووجدت فرصًا أفضل للكتابة والعمل، وطرحت اجتهاداتي في السرد، وأعطيت الرواية اهتمامًا أكثر، فأصدرت على التوالي الروايات: نجمة النواتي١٩٩٩، وجفاف الحلق١٩٩٩، وزمن دحموس الأغبر٢٠٠١، وليالي الأشهر القمرية٢٠٠١، وعودة منصور اللداوي٢٠٠٢، وأزمنة بيضاء ٢٠٠٥، وضفاف البوح ٢٠٠٦، ورواية للفتيان بعنوان الأميرة البيضاء ٢٠٠٧، ثم روايات أولاد مزيونة ٢٠٠٩، وهل رأيتِ ظل

موتي ٢٠١١، والمنسي ٢٠١٦، رافق ذلك نشر المجموعات القصصية: النورس يتجه شمالًا ١٩٩٦، وغزالة الموج ٢٠٠٣، وعزف على وتر قديم ٢٠٠٥، ومذاق النوم٢٠١٠. كما نشرتُ إلكترونيًا مجموعات: أول المرايا، مقامات الوجد، وعزف على الوتر الثامن، وغناء لقمر بعيد، يضمها كتاب أعمالي القصصية الكاملة ٢٠١٧.

وقد شاركت بقصص قصيرة في أكثر من مجموعة مشتركة باللغة العربية، والإنجليزية، والفرنسية، والإسبانية، وكذلك في موسوعة الأدب الفلسطيني باللغتين: العربية، والإنجليزية، التي تشرف عليها الدكتورة سلمى الخضرا الجيوسي في الولايات المتحدة الأمريكية.

اتهامٌ لا أرفضه:

يتهمني البعض، ويشهد لي آخرون بمحورية المخيم في كتاباتي، وأعترف بأني سعيد بهذه التهمة والشهادة، وأعترف أن مخيم الشاطئ – تحديدًا– حيث عشت بوعي الطفل والفتى والرجل، قدم لي وما زال يقدم كل يوم جديدًا، ويفاجئني بأسئلة جديدة، ويمد لي لسانه استنفارًا متحديًا، ويعبئني وجيلي حنقًا جديدًا على صمود هذا الطارئ لسبعة عقود، فيذكرني بالخيبات المتتالية لحل إشكالية التعاطي مع الزمن، الذي أجَّل العودة على الرغم من عظم التضحيات، ويحفزني على استقراء المخبوء في حياة الناس من أوجه القصور، وعوامل الانتصار، التي رافقت مسيرة العودة!

فهل يعدني المخيم بتغير كينونته واسمه، وتحوله إلى سطرٍ في دفتر الصراع على الوجود، ويسكن دفاتر التاريخ شاهدًا وإن طال الزمن؟

قالوا: إن الرواية بنت المدينة؛ لأنهم لم يعيشوا المخيم قدرًا لابد من الخلاص منه، واتخاذه وسيلةً للتطهر والحرية.

وأقول معتزًا: المخيم هذا الطارئ المقيم زوَّدني بالخمائر الأولى للقصة والرواية، وربَّاني على فطرة الحكاية البكر، وتجلياتها الإنسانية فامتدت في وجداني ذاكرةٌ لا تغيب، كما الوطن الذي لم يغب، فهل أغادره؟

وكيف؟ وهو لم يغادرني وما زال يقدم لي مفاجأته، ويعلقني على أسئلةٍ جديدة، وقد تناسل وأصبح أطفاله من أبناء جيلي أجدادًا، يراهنوني على مواصلة حكايات الأبناء والأحفاد، وتتبعهم أينما ذهبوا بنجاحاتهم وإخفاقاتهم وخيباتهم، وقد تناثروا في أرض الله الواسعة، غاب منهم من غاب، لكن الحكاية لا زالت حاضرة تنتظر من يتواصل معها؛ لتحيي الذاكرة وتتوهج، ولعلي إن ودعت جسدي تبقى حكاياتي فلا أغيب.

عود على بدء:

أطل على الدنيا من شرفة قطار السبعين، حاملاً مشكاتي وأسئلتي الأولى تطن في رأسي عن دور الكاتب والأديب في الحياة، وهل ما قدمته وجيلي سيصمد في وجه عاتيات الزمن الآتي؟ يلازمني الأرق بكتابة الأجمل والأجدى الذي لم أكتبه بعد، فيطل وجه أمي التي هرب حليبها خوفًا في الهجيع الأول، تحضني بدموعها، تتحسس فقرات عظم ظهري وتحدث نفسها :" ليش جيتو في زمن النحس"؟

هل رافقنا النحس؟ وعلى أي الصور؟

ربما التفرس في وجوه الناس، في الأحياء الفقيرة، وتجمُّع بيوت الصفيح، وحواري المخيم بعد كل حرب، وقراءة أسئلة توفير الحد الأدنى للحياة، تجيب على أسئلة المفارقة وترجم الأديب بأسئلة جديدة.

فهل أنا فاعل؟ وهل من ركب قطار الكتابة من بعدنا فاعلون؟

أعتقد بثقة المؤمن بالتناسل والتناسخ والتواصل، أن قوافل الكتَّاب ستبقى على أرقها حتى توهُّج عند المخاض .